# تطوُّر الفكر الإسلامي بالمغرب الأوسط على عهد المُوحّدين

أ. د عبد الحميد حاجيات*

نظرًا لأهَمِّيَّة دَوْر الْمجالات التي تشتمل عليها العلوم الدِّينيّة خِلالَ عهد دولة الْمُوحِّدين، فإنّا رأينا تناول موضوع تطوّر التيّار الصّوفيّ بالجزائر في هذه الفترة، لِما لِهذا الْمِحْوَر من مكانة هامّة في تطوُّر الفكر الإسلامي بالْجزائر عامّة، ومنطقة تلمسان خاصّةً، في عهد الْمُوَحِّدين. وفي البداية، يبدو من الضّروريّ أن نلقِيَ نظرةَ سريعةَ على تطوّر التّيّار الصُّوفيّ بالجزائر قبل عهد الْمُوحِّدين.

**1**.تطوّر التيّار الصُّوفيّ قبل عهد الْمُوَحِّدِين: يرجع تطوّر التّصوّف بالجزائر وسائر أقطار الْمغرب الإسلاميّ، قبل عهد الْموحّدين إلى عوامل عديدة، أهَمُّها اندلاع الْحروب الصّليبيّة شرْقًا وغَرْبًا، ومن أخطرها حركة الاسترداد الإسبانيّة ، التي أدّت إلى هِجْرة العديد من الأندلُسِيِّين إلى أقطار شمال إفريقيا، ومن بينهم العديد من الفقهاء والأدباء والصُّوفيّة. وقد نَتجَ عن ذلك تكاثُر العلاقات بين أقطار الْمغرب الإسلاميّ وبلاد الْمشرق العربيّ، ولاسيّما في الْمجال الثّقافيّ والفكريّ، مِمّا أدّى إلى انتشار آراء الأشاعِرَة الاعْتقاديّة في الْمغرب الإسلاميّ، رَغْمَ مُناهضة فُقهاء دولة الْمرابطين لِمُؤَيِّدِيها، وسَمَحَ بذُيوع مؤلَّفات أبي حامد الْغزالي وغيره في أقطار المغرب الإسلاميّ.

ويُلاحَظ أنّ الصُّوفيّة كانوا قد استعملوا الْمُصْطلحات الدِّينيّة، الواردة في القرآن، للتّعْبير عن أحْوالهم ومَقاماتِهم، وأوّلوا مَدْلولَها حسبما تُمْليه عليهم نظريّاتُهم الاعتقاديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة، فنتج عن ذلك مُصطلحاتٌ صوفِيّةٌ، اتّفَقوا على مَدْلول بعضِها، واختلفوا في تأويل البعض الآخر، الأمر الذي أدّى إلى نشأة مَدارس صوفِيّة يُمْكِنُ حَصْرُ انْتِمائها بالْمغرب

* – أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ وعلم الآثار– جامعة أبو بكر بلقفايد– تلمسان.

الإسلاميّ إلى نَظَرِيَّتَيْن رَئِيسِيَّتَيْن، تُدْعَى إحْداهُما نَظَرِيّة الْحقائق أو التّصوُّف الفلسفيّ، والأخرى نظريّة الأخلاق أو التصوُف الأخْلاقِيّ.

أ. التصوّف الفلسفيّ: أمّا التّصوّف الفلسفيّ فإنّ نَظَرِيّاته لَمْ تنْحَصِر في الْوَرَع والزُّهْد، بل تَأثّرتْ بآراء الفلسفة الأفْلوطِينيَّة، التي تَتَوَغّل بعيدًا في مَجال الْجانب الرُّوحِيّ. ولذا، فلَمْ تَحْظَ بقبول أغْلَب الْفقهاء والْمُحَدّثين، لِما كانت تَدّعيه من أحْوالٍ تَتّسِمُ بطابَع الْغُلُوّ والتّطَرُّف، ولَمْ يتأثّرْ بِها الْجُمْهور العامّ بالْمغرب الإسلاميّ في هذه الْمَرْحلة من تطوّر التّصوُّف، ومن مشاهير صوفيّة هذا التّيّار منذ نشأته إلى تأسيس دولة الْمُوحّدين، ابن مَسَرَّة المتوفى سنة 319هـ/931م)، وابن العَرِيف المتوفى سنة 536هـ/1142م)، وابن بَرَّجان المتوفى سنة 536هـ/1142م).

ب- التّصوّف الأخْلاقِيّ: وأمّا تَيّار التّصوّف الأخلاقيّ فإنّه يَمْتاز بتَمَسُّكه بالقرآن والْحديث والْقِيَم السّامِيَة التي كان يَتَحَلّى بِها السَّلَفُ الصّالح، وتَرْكِ الْخَوْض في الْمَسائل الْفَلْسَفِيَّة التي قد لا تَتّفِق مع التّعاليم الإسْلامِيّة، وبِخاصّةٍ نظريّات وحدة الوجود والْحُلول والاتّحاد. ومن أشهر رجاله في الْمشرق الإسلاميّ، أبو عبد الله الْمُحاسِبِيّ المتوفى سنة 243 هـ/ 857م)، وأبو طالب الْمَكّيّ المتوفى سنة 386هـ/996م) وأبو حامد الغزالِيّ المتوفى سنة 505هـ/1111م)[1].

والجدير بالملاحظة أنّ هذا التّيّار سادَ في الْمغرب الإسلاميّ بصورته الْبِدائيّة الدّاعِيَة إلى الزُّهْد في مَلَذّات الدُّنْيا، ومُجاهَدة النّفس، وأنّ صُوفيّة هذه الظّاهِرة من الزُّهّاد كانوا يَحْظَوْن باحْتِرام الفِئاتِ الشّعْبيّة. وكان هؤلاء يَلْجَؤُون إليهم لِدُعاء الله من أجْل طلب الاسْتِسْقاء والشِّفاء من الأمْراض وغير ذلك، ومن الفقهاء والْمُحَدّثين مَنْ كان يتّصِفُ بالزُّهْدِ في الدُّنْيا والتّبَتُّل. ومن مشاهير رجال هذه الْمَرْحلة من مراحل التّصوّف في الْمغرب الإسلاميّ قُبَيْل عهد الْمُوحِّدين وفي بدايته:

1- أبو الْحسن الأشونِيّ، عليّ بن محمد بن محمد بن شُعَيْب (ت. 537/ 1142 م)[2]، أصله من أُشُونَة بالأندلس، رحل إلى مدينة الْجزائر، وروى عنه أبو محمد عبد الواحد ابن محمد بن حبيب اللّخْمِيّ الْجزائريّ. وكان أديبـًا لُغَوِيـًّا تاريخِيـًّا شاعِرًا غَزيرَ الحفْظ للأشعار. ومن نظمه في الزّهْد والْحِكْمَة قوله:

يَقِينـي يَقِيـني بِحَوْلِ الإلَـهِ ... ولو كُنْتُ دَهْري عن الرُّشْدِ لاهِ

وَإحْيَــاءُ قَلْبي بذِكْــرِ الْمَلِيكِ     وَكَوْني عَنْ ذِكْــرِهِ غيْرُ سَــاهِ
فَمَا الْفَــوْزُ إلاّ بصَفْــوِ الضّمِيرِ     وَدِينٍ مَتِيــنٍ وتَرْكِ الْمَنَــاهِي
وتَقْوَى الْقُلوبِ ورَفْضِ الذُّنُوبِ     ودَفْعِ الْعُيُوبِ، حِــذارَ النَّوَاهِي

وقال في القَناعة:

لا تَسْأَلِ النَّاسَ حَبَّ خَرْدَلَةٍ     وسَلْ إلاهــًا بَرَاكَ مِنْ طِينِ
فَرِزْقُــهُ لِلْعِبَــادِ ذُو سَعَــةٍ     لَيْسَ بفَــانٍ ولا بِمَمْــنُونِ

وقال في الاعْتراف بالذّنْب، والرّجاءِ في عَفْو الله:

لا قُــوّةَ لِيَ يَــا رَبِّــي فَأَنْتَصِرُ     ولا بَــراءَةَ مِنْ ذَنْبِــي فَأَعْــتَذِرُ
فَإنْ تُعــاقِبْ فَإِنِّي مُذْنِبٌ نَطِفٌ     وإنْ صَفَحْتَ فمِنْكَ الصَّفْحُ يُنْتَظَرُ
أنْتَ الْعَظِيمُ فإنْ لَمْ تَعْفُ مُقْتَدِرًا     عَنِ الْعَظِيمِ، فَمَنْ يَعْفُو ويَقْتَدِرُ[3]

**2-** أبو عبد الله الدَّقّاق، (ت. في أواسط القرن 6هـ/12م)[4]، الذي كان يتردَّدُ بين فاس وسجلماسة. ويبدو أنّه كان أوَّل مَنْ أخذ عنه الشيخ أبو مَدْيَنْ شعيب طريق التّصوّف، بمدينة فاس، وأنّه ألْبسَهُ الْخرقة.

**3-** أبو يَعزّى يَلَــنُّور بن ميمون الْهزْميريّ ( ت. 572 هـ / 1176 م )[5]. يُرْوى أنّه توفّيَ وعمره حوالي مائة وثلاثين سنة. كان من مشاهير الزُّهّاد الْمُتبَتّلين بالْمغرب الأقصى، وقيل إنه ساح في الْبراري مُدّة خمسة عشر عامًا، لَمْ يَتّصِلْ فيها بأحد. ثُمّ استقرَّ في قرية جنوبَ مدينة مكناس، وأسَّسَ فيها رابطة، فذاعَ صَيْتُهُ لِما نُسِبَ إليه من الكرامات. وهو من مشايخ أبي مَدْيَن شُعَيْب الإشبيلي.

ومن مُميِّزات هذا التّيّار أنّه ساهَمَ في انْتشار نَظَريّاته بالْمَغْرب الإسْلاميّ، وحَظِيَ بتأييدٍ مَلْحوظٍ، مُنْتهجــًا التعبير عن الأحوال والْمَقامات بلغةٍ يَسْهُلُ فَهْمُها، والابتعاد عن نظريّات التّصوُّف الفلسفيّ، التي تُثيرُ اسْتِنْكارَ مُعْظَمِ الفقهاء والْمُحَدِّثين والْجُمْهور العامّ، ولا يَتَقَبَّلُها إلاّ بَعْضُ الْخَواصّ من رجال التّصوُّف الْمُتَأثّرين بنظريّات الأفْلاطونيّة الْحَديثة.

ومن جِهةٍ أخرى، فإنّ التّيّار االأخلاقيّ عرف بعض التّطوّر في أوائل القرن الخامس الْهجريّ (11م)، ويتمثّلُ ذلك في تأسيس الرُّبُط أو الرّابطات، وتكوين الْمُريدين، والسِّياحة في الْبَراري. وقد تواصل هذا التّطوّر خلال القرن السّادس الْهجْريّ (12م)، بفضل هِجْرة العديد من العلماء والفقهاء والْمُحدّثين والصُّوفيّة الأندلُسيِّين إلى أقطار شَمال إفريقيا، وتدعيم

العلاقات الثّقافيّة بين الْمَشْرق والْمغرب، مِمّا أدّى إلى تعْميق الفكر الصّوفيّ تدريجيــًا، ولاسِيّما منذ تأسيس دولة الْمُوحّدين.

1- تطوّر التيّار الصوفيّ في عَهْد الْمُوَحِّدين:

أ- تيّار الْوَرَع والزُّهْد في عهد الْمُوَحِّدِين: لقد كانت الدّعْوة الْمُوَحِّدِيَّة تشمل عناصر سياسيّة واعتقاديّة وتشريعيّة وأخلاقِيّة، تَهْدِف إلى التَّغْيير والإصْلاح في كلّ هذه الْمَجالات. وكانت هذه الدّعوة قد تزامَنَتْ مع انتشار آراء الأشاعرة الاعتقاديّة في الْمغرب الإسْلاميّ، وذُيوع مُؤلّفات مَشاهير عُلَمائهم، وبِخاصّةٍ كتاب "إحياء علوم الدّين لأبي حامد الغزالي. والظّاهر أنّ موقف الْمُوَحِّدين الْمُغايِر لِمَوْقف الْمُرابطين في شأن هذا الكتاب وغيره من تآليف الأشاعِرَة قد لَقِيَ تأييد بعض الصُّوفيّة وعددٍ قليلٍ من الفقهاء والْمُحدِّثين.

هذا وقد أحْدث تأثُّر بعضِ الصُّوفيّة بآراء الأشاعِرَة تَجْديدًا مَلْحوظــًا في الْخِطاب الصُّوفِيّ. ومن عوامل هذا التَّجْديد ما حَدَثَ من التّدهْوُر في الأوْضاع الأخلاقيّة في أمْصار الْمغرب الإسْلامِيّ، وما كان مُنْتشِرًا فيها من فَسادٍ وبِدَعٍ وعاداتٍ لا تَتَلاءَمُ مع القِيَم والتّعاليم الإسْلاميّة. وكانت دَعْوَى الْمَهْدي ابن تومَرْت قد رَكّزَتْ في بدايَتِها على عُنْصُر الأمْر بالْمعروف والنَّهْيِ عن الْمُنْكَر، ونَبْذ عادة اخْتِلاط الرّجال والنِّساء في الْحفلات والأعْياد وغير ذلك[6].

غير أنّ هذا التّجْديد في الْخِطاب الصُّوفِيّ لَمْ يشمل كُلّ مناطق الْمغرب الإسْلامِيّ في عهد الْمُوَحِّدين، ولَمْ يُؤَدِّ إلى نَبْذِ التّطرُّف والغُلُوّ وكُلّ ما لا يقبله العقل في آراء ومُمارسات رجال التّصوّف، ولاسِيّما في الْمناطق الْجَبَلِيّة والنّائيّة، التي ليس لَها علاقاتٌ وثيقة مع الْمُدُن. ومن مشاهير الصوفيّة الذين الْتَزَموا طريق الزُّهْد والتّقشُّف والْعِبادة، ولَمْ يَنْدَرِجوا بصِفَةٍ واضِحة في مرحلة تَجْديد التّيّار الصّوفيّ في عهد الْمُوَحِّدين:

أبو مُحمّد عبد الْحَقّ الإشْبيليّ (516-582هـ/1122-1186م)[7]، الْمُحدِّث الخطيب، العابد الزّاهد. وُلِدَ بإشْبيلية، ورحل إلى بِجاية بعد سنة 550هـ/1155م، وبها توفيَ، وقبره خارج باب الْمَرْسَى. وبها ظهرت تآليفه، وأشهرها الأحكام الكبرى، والأحكام الصُّغْرى، في علم الحديث، وله كتاب الْعاقبة في التذكير، وكتاب التّهجُّد. ومن نثره، في كتاب العاقبة، قوله في ذمّ الدّنْيا والْحثّ على سُلوك طريق التّصوّف:

"فانظر رحمك الله كيف تقرّ عينُ عاقلٍ في هذه الدّار، وكيف يستقِرُّ له فيها قرار ... لكِن حِجابَ الغفلة الذي غَطّى على القلوب كَثِفٌ فلا ترى ما وراءه، والوقر الذي في الآذان عَظُمَ فلا تسمع من ناصحٍ دُعاءَهُ، وقد بكى أولو الألباب على هذا فأكْثروا، وسهروا من أجله اللّيالي الطّويلة وأسْهروا، ورامَ عاذِلوهم كفّهم عمّا هُمْ فيه فلم يَقْدِروا، وذلك للعلم الذي لاحَ لَهُم، والتّأييد الذي شملهم، والتّوفيق الذي يسّر لهم، وربَّما هَبَّتْ عليهم نَفَحات الرَّجاء فاستَبْشَروا، وسَكَنوا من ذلك الْهَيَجان وفَتروا، فَلْتَسْلك رحمك الله على منهاج هؤلاء العلماء، ولْتَمْشِ على آثار هؤلاء الفضلاء، وأدِمْ حسرتك، وامزج بدَم الفؤاد غبرتك، وابْكِ على نفسك، ثُمّ ابْكِ البُكاء بالبُكاء، والأسى بالأسى، حتى تنكشف لك هذه الغاية[8]".

وله شعر كلّه في الزُّهْد. فمن نظمه في الوعظ قوله:

قالوا صِفِ الْمَوْتَ يا هذا وشِدَّتَهُ    فقُلْتُ وامْتَدَّ مِنّي عندها الصَّوْتُ
يَكْفِيكُمْ منه أنّ الناسَ، لو وَضَعُوا    أمْرًا يَرُوعُهُمْ، قالوا هوَ الْمَوْتُ[9]

وقوله في نفس الغرض:

يا آمِنَ السّاحَةِ لا يذعـرُ    بَيْنَ يَدَيْكَ الْفزَعُ الأكْبَـرُ
والْمَرْءُ مَنْصوبٌ له، حَتْفُهُ    لَوْ أنّهُ من عَمَهٍ[10] يُبْصِـرُ
وهذه النّفْسُ لَها حـاجَةٌ    والعُمْرُ عن تَحْصِيلِها يقصر
وكُلّما تُزْجَرُ عن مَطْلَبٍ    كانتْ به أَهْيَم إذْ تُزْجَـرُ
ورُبّما، أَلْقتْ مَعاذِيرَهَـا    لَوْ أنّها يا وَيْحَهـا تُعْـذَرُ
وناظِرُ الْمَوْتِ لَها نـاظِرٌ    لَوْ أنّها تَنْظُـرُ، إذْ يَنْظُـرُ
ورائدُ الْمَوْتِ، لَهُ طَلْعَـةٌ    يُبْصِرُها الأكْمَهُ والْمُـبْصِرُ
ورَوْعَةُ الْمَوْتِ لَها سَكْرَةٌ    ومِثْلُها، من رَوْعَـةٍ يسْكرُ
وبَيْنَ أطْباق الثّرى، مَنْزِلٌ    يَنْـزِلُهُ الأعْظَمُ والأحْـقَرُ
يَتْرُكُ ذُو الْفَخْرِ به فَخْرَهُ    وصاحِبُ الْكِبْرِ به يَصْغَـرُ
قد مَلَأتْ أرْجاءَهُ، رَوْعَةٌ    نَكِيرُهُ الْمَعْروفُ والْمُنْكِرُ[11]

"وكان يقسم ليله أثلاثـاً، ثُلُثـاً للقراءة وثُلُثـاً للعبادة وثلثـاً للنّوْم. وكان مع ذلك متقلّلاً من الدُّنْيا، مُقْتَصِرًا على أقَـلِّ الكافِي منها "[12]. وكانت تربطه بأبي علي الْمَسِيلي

محبّة " في العلم والدّين، والزّهْد واليَقين، واتّباعِ سَلَفِ الْمُؤمنين "[13]. وكان يَزور الشّيْخ أبا مَدْيَن شعيب الإشبيلي، ويُكِنُّ له كلّ التقدير والاحْترام[14].

1- أبو زكرياء يحيى بن أبي علي الزّواوي (ت.611هـ/1214م)[15]، الفقيه الزّاهِد، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله بن الْخرّاط، ثُمّ توجَّهَ إلى الْمَشْرق، "ولَقِيَ الفُضلاء والْمَشايخ من الفقهاء والْمُتصَوِّفَة وأهل طريق الْحقّ"[16]. ثُمّ رجع إلى بلاده، واسْتقرَّ ببجاية، وانتصب لتدريس الْحديث والفقه والوعظ، وخطب بالْجامع الأعظم وبجامع القصبة ببجاية. وكان الغالب عليه الْخوف، "ما يَمرُّ بمجلِسه إلاَ ذكر النّار والأغْلال والسَّعير، وتكادُ تفيضُ قلوبُ الْحاضرين في مَجْلِسه، وهذا طريق حَسَن، لأنّ الخوفَ فائدتُه إنُّما هي الْحَضُّ على العمل، وحين الْموت انقطع العمل، ولَمْ يَبْقَ إلاّ قوّة الأمَل لِتلْقَى الله طِيبَةُ نفسه"[17].

2- ابن الْحَجَّام، أبو عبد الله محمد بن أحمد اللَّخميّ (ت.614هـ/1217م)[18]، الزّاهد الصّالِح الواعظ. وُلِدَ سنة 555هـ/1151م بتلمسان ونشأ بِها، ورحل إلى فاس، فأخذ بِها عن أبي الْحَجّاج ابن نَمْوي وأبي القاسم بن يوسف بن زانيف، وصحب أبا زيد الفازازي. ورحل إلى مرّاكش، فَحَظِيَ عند يعقوب الْمَنْصور الْمُوَحّديّ والنّاصِر والْمُسْتَنْصِر. وله في الوعظ كتاب "حُجّة الْحافِظين ومَحَجَّة الواعِظين"، اختصره أبو زكرياء يحيى بن محمد بن طُفَيْل، وسَمّاه "مَجالس الأذكار وأبْكار عرائس الأفكار". ومن نظمه في التّصوّف قوله:

غَريبُ الوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَريبِ — عَلِيلُ الْقَلْبِ مِنْ حُبِّ الْحَبيبِ
إذا ما اللّيْلُ أَظْلَمَ، قـامَ يَبْكِي — ويَشْكُوُ ما يُكِنُّ من الْـوَجيبِ
يُقَطِّـعُ لَيْلَـهُ فِكْرًا وذِكْـرًا — ويَنْطِقُ فيه، بالعُجْبِ العَجيـبِ
بِـهِ مِنْ حُبِّ سَيِّـدِهِ غَـرامٌ — يَجِلُّ عن التَّطَبُّبِ والطَّبيـبِ
ومَنْ يَكُ هَكَذا، عَبْدًا مُحِـبًّا — يَطِيبُ تُرابُهُ مِنْ غَيْرِ طِيـبِ[19]

3- أبو العَيْش الْخَزْرَجيّ التِّلمْساني، محمد بن أبي زيد عبد الرّحيم بن محمد بن أبي العيش (ت. في أوائل القرن 7هـ/13م)[20]، الأديب الأُصولِيُّ الزّاهِدُ، إشبيلِيّ الأصْل، نشأ بتلمسان، وأخذ بها عن أبي بكر ابن سعادة الإشبيليّ (ت.600هـ/1203م)، وأبي محمد بن حوط الله (ت.612هـ/1215م)، وأبي عبد الله التُّجِيبيّ (ت.610هـ/1213م)، وأبي عبد الله بن عبد الْحقّ (ت.625هـ/1228م). له تآليف في أصول الدين، وأصول الفقه، وشرح أسماء الله الْحُسْنَى. وله شعرٌ كثير في الزُّهْدِ والوعْظ وتَنْزيه الله تعالى. ومن نظمه في ذلك قوله:

اللهَ قُلْ وذَرِ الوُجودَ وما حَوَى إنْ كُنْتَ مُرْتادًا بُلوغَ كَمالِ
فالكُلُّ دُونَ اللهِ إنْ حَقّقْتَهُ عَدَمٌ على التَّفْصيلِ والإجْمالِ
وَاعْلَمْ بأنَّكَ، والْعَوالِمَ كُلَّها لَوْلاهُ في مَحْوٍ وفي اضْمِحْلالِ
فالْعارفونَ فَنَوْا ولَمَّا يَشْهَدُوا شَيْئًا سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعالِي
ورَأَوْا سِواهُ على الْحَقِيقَةِ هَالِكًا في الْحالِ والْماضِي والاسْتِقْبالِ
مَنْ لا وُجودَ لِذاتِهِ مِنْ ذاتِهِ فَوُجودُهُ لَوْلاهُ عَيْنُ مُحالِ
فالْمَحْ بِطَرْفِكَ أو بِعَقْلِكَ هَلْ ترَى شَيْئًا سِوَى فِعْلٍ مِنَ الأَفْعَالِ
وانْظُرْ إلى أعْلَى الوُجودِ، وسُفْلِهِ نَظَرًا، تُؤَيِّدُهُ بالاسْتِدْلالِ
تَجِدِ الْجَمِيعَ يُشيرُ، نَحْوَ جَلالِهِ بِلِسانِ حالٍ أوْ لِسانِ مَقالِ
هُوَ مُمْسِكُ الأشْياءِ مِنْ عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ومُبْدِعُها بِغَيْرِ مِثالِ
وَجَبَ الْوُجودُ لِذاتِهِ وصِفَاتِهِ فَرْدًا عن الأَكْفاءِ، والأَمْثالِ
فاسْكُنْ إليهِ بِهِمَّةٍ عُلْوِيَّةٍ مُتَنَزِّهًا عَمَّا سِوَى الْفَعَّالِ
يَبْقَى وكُلٌّ يَضْمَحِلُّ وُجُودُهُ ما واجِبٌ كَمُقَيَّدٍ بِزَوالِ
وَهُوَ الذي يُرْجَى ويُخْشَى لا تَلُذْ بِسِواهُ في حَالٍ من الأحْوالِ
فالشَّرْعُ جاءَ بِذا وأنْوارُ الْهُدَى قدْ أيَّدَتْهُ فَعِشْ خَلِيَّ الْبالِ[21]

أ- تطوّر تيّار التّصوّف الأخلاقيّ في عهد الْمُوحّدين: والذي ينبغي التّأكيدُ عليه أنّ تطوّر التّصوّف في عهد الْمُوحّدين كان يَحْمل في طَيّاته آراء ابن حَزم الدّاعِيَة إلى الرّجوع إلى نُصوص القرآن والْحديث في الْمَجال التّشريعيّ، ونظريّات أبي حامد الغزاليّ التي تَتّسِمُ بطابَع الاعْتِدال، ومبدإ نَبْذ التّطرّف في الْمسائل الاعتقاديّة والْمُمارسات الدّينيّة والأخْلاقِيّة. غير أنّ مُعْظم الصُّوفيّة لَمْ يلتزموا هذا الاتّجاه في العَديد من جَوانب التّصوّف، حيث إنّ كثيرًا من التّصوُّرات والادّعاءات بَقِيَت عالِقةً بالأذهان، ولَمْ تُخْضَعْ لِحُكْم العقل.

ويلاحظ أنّ ما اتّسَمَ به الصُّوفيّة بالْمغرب الإسلاميّ، خلال عهد الْمُوحّدين، مِنْ إعْراضٍ عن حطام الدّنْيا، وعِزّ النّفس، وعدم الاهتمام بأصْحاب الْجاهِ والْحُكْم، قد أضْفَى أَهَمِّيَّةً خاصّة على مَشايخ الصُّوفيّة، وأظْهَرَهم "بِمظهر العَظمة الْمُحاطة بالأسْرار الغامِضة، ويُضاف إلى هذا مُغالاة الْمُريدين في بَيان الْمَقامات الرّوحانيّة لِمَشايخِهم، ونسبة علم الْغَيْب والإشراق إليهم

ومَقْدرتهم إلى إظهار الْكرامات وخَوارق الْعادات، مِمّا زادَ في شأنهم، وحَدَا بالْمُلوك والأمراء إلى أن ينظروا إلى الشُّيوخ الصّوفيّة نَظْرَةَ احْترام وتعظيم مَمْزوجة بشيءٍ من الْخوف والرّهْبَة "[22]. وبِصفةٍ عامّة، يلاحظ أنّ اعْتِدال موقف الأشاعِرَة في شأن تحكيم العقل في الْجانب الرُّوحِيّ أو إقصائه، لَمْ يُطَبّقْ في هذا الْمَجال إلاّ بحَذرٍ شديدٍ، وبتَرَدُّدٍ في كثيرٍ من الْمَسائل.

ومن الفقهاء والْمُحَدِّثين والصُّوفيّة الذين تأثّروا بمذهب الأشاعرة وتآليف أبي حامد الغزالِي وغيره، ونالوا شهرةً في هذه الْمَرْحلة من تَطَوُّر التّصوُّف بالْمغرب الإسلاميّ: ابن النّحْويّ التُّوزَرِيّ، أبو الفضل بن محمد (ت.513هـ/1119م)[23]، الفقيه والأديب والزّاهد. وُلِدَ سنة 433هـ/1041م بتُوزَر، بلدة في ناحية شطّ الْجَرِيد جَنوبَ إفريقية، وأخذ العلوم النقليّة والعقليّة عن مشايخ علماء إفريقية، أمثال أبي زكرياء الشّقراطِيسِيّ، وأبي الْحسن اللّخْمِيّ وغيرهما. فنَبَغَ في الفقه وأصول الدّين والأدب ونظم الشّعر. ثُمّ رحل إلى الْمَشْرق لِقضاء فريضة الْحَجِّ ولِقاء مشاهير علماء عصره، واسْتطابَ الإقامة بِمِصْر. ثُمّ عاد إلى مَسْقَطِ رَأسه، وتوجَّهَ إلى قَلْعَة بني حَمّاد، ثُمّ غادرها وانتقل سنة 494هـ/1101م، إلى سِجِلْماسة. ثُمّ رحل إلى فاس، وكان يُدرّس أصول الدِّين، فيتعرّض إلى اسْتِنْكار الفقهاء. "ولَمّا أفْتى الفقهاء بإحراق الإحْياء لأبي حامد الغزالي، فأُحْرِقَ في صحن مرّاكش، **ووصل كتاب عليّ بن يوسف** اللّمْتونِيّ بذلك، وتَحْلِيف النّاس بالأيْمان الْمُغَلّظة أنّ ليس عندهم الإحْياء، انتصر وكتب إلى السلطان، وأفتَى بعدم لُزوم تلك الأيْمان، وانتسخ الإحياء في ثلاثين جزْءًا، يَقْرأ منه كُلّ يومٍ جُزْءًا في رمضان، وقال وددتُ أنّي لَمْ أنْظُرْ في عمري سِواهُ "[24]. ثُمّ عاد إلى قلعة بني حَمّاد، وتوفّي بِها سنة 513هـ/1119م. واشتهر ابن النحويّ بقصيدته " الْمُنْفرِجَة "، التي نظمها عند شِدَّةٍ أصابَتْهُ، مُبْتهِلاً بِها إلى الله، بعد أنْ دعاه مُتضرِّعًا إليه في تَهَجُّدِهِ، ومطلعها:

اشْتَدِّي أزْمَـةُ تَنْفـرِجي      قد آذنَ لَيْلُـكِ بالبَلَـجِ

وله رسالة ضمّنها اسْتِنْكارَه لإحْراق كتاب " إحياء علوم الدين "، ومُعْرِبًا فيها عن انتصاره لأبي حامد الغزالي.

1- عبد السلام التّونسيّ، أبو محمد (ت.518هـ/1124م)[25]، نشأ بأغْمات، وأخذ عن عَمِّه طريق التّصوّف، ورافقه إلى الأندلس. ثُمّ قدم إلى تلمسان سنة 486هـ/1093م، بعد وفاة

عَمِّهِ، فأسّس رابطةً بقرية الْعُبّاد، خارج الْمَدينة. وكان يُدرِّسُ فيها كتاب " الرِّعاية " للمُحاسِبِيّ، و" إحياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي.

2- أبو الْحسن عليّ ابن أبي قَــنّون التلمساني (ت.557هــ/1162م )[26]. رحل إلى الأندلس وأخذ عن أبي عليّ الصَّدَفِيّ وغيره، وجال في أقطار الْمغرب، ووُلِّيَ القضاء بِمُرّاكش ثُمّ تلمسان. وكان فقيهًا وأصولِيــًا. ومن تآليفه كتاب "الْمُقْتَضَبْ الأشْفَى" في اخْتِصار "الْمُسْتَصْفَى" لأبي حامد الغزالي، في الأصول.

3- أبو الْحَسَن عليّ بن حِرْزِهِم (ت.559هــ/1164م)[27]. وُلِدَ بفاس، وكان أبوه وأخوه من الصّالحِين. أخذ عن عَمِّهِ علم التّصوُّف، وتَلَقَّى عنه كتاب " إحياء علوم الدِّين " لأبي حامد الغزالي، فعُنِيَ كثيرًا بدراسته، والانتفاع به في سُلوك طريق التّصوّف. قرأ عليه الشّيْخ أبو مَدْيَن شُعَيْب " رعاية " الْمُحاسِبِيّ. وكان فقيهــًا وزاهِدًا في الدّنْيا، وتُنْسَبُ له كرامات. وكان كثيرًا ما يُنْشِدُ في الورع ومُجاهَدَة النّفس:

أَوَاللهُ كَمْ هَذي الْمَعاصِي إلى مَتَى وأرْياحُ أثْقــالِ الصِّبا عَنِّي راكِدَهْ

إلاهِي رَجائي مِنْكَ غُفْرانُ زَلَّتِي وإصْلاحُ حالاتِي التي هِيَ فاسِدَهْ[28]

4- أبو عليّ الْحَسَن بن عليّ الْمَسِيلِيّ (ت.581هــ/1185م )[29]. نشأ ببجاية، وصحب الشيخ أبا مَدْيَن شُعَيْب الإشبيلي، وكان مُعْجَبًا بتآليف أبي حامد الغزالي. ومن تآليفه كتاب "التفكّر فيما تشتمل عليه السُّوَر والآيات من الْمبادئ والْغايات"، سَلَكَ فيه مَسْلك الْغزالِي، فسُمِّيَ بأبي حامد الصّغير. وقد وصفه الغبرينيّ قائلاً: "وكلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسْلَم، ودلّ كلامُه فيه على إحاطته بعلم المعقول والْمنقول، وعلم الظّاهر والباطن، ومَنْ تأمَّل كلامه أدْرَكَ ذلك بعلم اليَقِين، ولَمْ يفتقِرْ فيه إلى تَبْيِين، وهو كثير الوجود بين أيْدِي النّاس، وكثرَةُ وُجود الكتاب دليلٌ على اعْتِناء الناس به"[30].

5- أبو مَدْيَن شُعَيْب بن الْحُسَيْن الإشْبيلِيّ (ت.594هــ/1198م)، الوِلِيّ الصّالح الْمشهور. وُلِدَ في قرية تُدْعَى قطْنيانَة، قرب إشْبيلية، ورحل إلى الْمغرب، فأخذ بفاس عن بعض العلماء والصُّلحاء، مثل ابن حرزهم وأبي يَعَزّى وغيرهما. ثُمّ رحل إلى بلاد إفريقية، ثُمّ اسْتَقَرَّ ببجاية مُدَّةً طويلة، فَتَخرَّجَ عليه كثيرٌ من الطَّلبة والْمُريدين. وفي سنة 594هــ، استدعاه الْخليفة الْمُوَحِّدِيّ يعقوب الْمَنْصور إلى مرّاكش فتوجَّهَ إليها، ولكِنّه مرض في طريقه وتوفِّي، ودُفِنَ في قرية الْعُبّاد، خارجَ تلمسان. ولأبي مدين شعيب مكانة سامِيَة في التّصوّف الْمَغاربِيّ، يشهد

عليها العَديدُ من الطُّرُق الصُّوفِيَّة التي تنتسب إليه. ويُنسَبُ للشيخ أبي مَدْيَن ديوان في الزُّهْدِيّات وحِكَمٌ في التّصوّف جُمِعَتْ في كتاب عنوانه "أنس الوحيد ونزهة الْمُريد". أمّا الدِّيوان فقد جمعه الشيخ العربيّ بن مصطفى الشّوار، ونُشِرَ بدمشق سنة **1938**م. ومن نظمه قوله:

بَكَتِ السَّحابُ فأضْحَكَتْ لِبُكائها ... زَهْرَ الرِّياضِ وفاضت الأنْهارُ
وقَدَ اقْبَلَتْ شَمْسُ النَّهار بِحُلَّةٍ ... خَضْرا وفي أسْرارها أسْرارُ
وأتَى الرَّبيعُ بِخَيْلِهِ، وجُنودِهِ ... فَتَمَتَّعَتْ في حُسْنِهِ الأبْصارُ
والوَرْدُ نادَى بالوُرودِ إلى الْجَنَى ... فتسابَقَ الأطْيارُ، والأشْجارُ
والكَأْسُ تَرْقُصُ والْعُقارُ تَشَعْشَعَتْ ... والْجَوُّ يَضْحَكُ والْحبيبُ يُزارُ
والْعُودُ، لِلْغِيدِ الْحِسانِ مُجاوِبٌ ... والطَّارُ، أخْفَى صَوْتَهُ الْمِزْمارُ
لا تَحْسَبُوا الزَّمْرَ الْحَرام، مُرادَنا ... مِزْمارُنا التَّسْبيحُ، والأذْكَارُ
وشَرابُنا مِنْ لُطْفِهِ، وغِناؤُنا ... نِعْمَ الْحَبيبُ الواحِدُ الْقَهَّارُ

وقوله رضي الله عنه:

ما لَذّةُ العَيْشِ إلاّ صُحْبَةُ الْفُقَرا ... هُمُ السَّلاطِينُ والسّاداتُ، والأُمَرا
فاصْحَبْهُمُ، وتَأَدَّبْ في مَجالِسِهِمْ ... وخَلِّ حَظَّكَ مَهْما خَلَّفُوكَ وَرَا
ولازِمِ الصَّمْتَ إلاَّ إنْ سُئِلْتَ فَقُلْ ... لا عِلْمَ عِنْدِي وكُنْ بالْجَهْلِ مُسْتَتِرَا
وإنْ بَدا مِنْكَ عَيْبٌ فاعْتَرِفْ وأَقِمْ ... وَجْهَ اعْتِذارِكَ عَمَّا فِيكَ مِنْكَ جَرَى
وراقِبِ الشَّيْخَ في أحْوالِهِ فَعَسَى ... يُرْضَى عَلَيْكَ، مِن اسْتِحْسانِهِ أثَرَا
واعْلَمْ، بأنَّ طَريقَ الْقَوْمِ دارِسَةٌ ... وحالُ مَنْ يَدَّعِيها الْيَوْمَ كَيْفَ تَرَى

وقوله أيضًا:

أهْلُ الْمَحَبَّةِ بالْمَحْبُوبِ قد شُغِلُوا ... وفي مَحَبَّتِهِ، أَرْواحَهُمْ بَذَلُوا
لَمْ تُلْهِهِمْ زِينَةُ الدُّنْيا، وزُخْرُفُها ... ولا جَناها ولا حِلْيٌ ولا حُلَلُ
داعِي التَّشَوُّفِ ناداهُمْ وأَقْلَقَهُمْ ... فَكَيْفَ يَهْنُوا وَنارُ الشَّوْقِ تَشْتَعِلُ
مِنْ أوَّلِ اللَّيْلِ قد سارَتْ عَزائِمُهُمْ ... وفي خِيامِ حِمَى الْمَحْبُوبِ قد نَزَلُوا
وافَتْ لَهُمْ خِلَعُ التَّشْريفِ يَحْمِلُها ... عَرْفُ النَّسيمِ الذي من نَشْرِهِ ثَمِلوا
هُمُ الأحِبَّةُ أدْناهُمْ لأَنَّهُمْ ... عَنْ خِدْمَةِ الصَّمَدِ الْمَحْبوبِ ما غَفَلُوا

ومن حِكَمِهِ قوله:

-الْحَقُّ تعالى يُجْري على أَلْسنَةِ عُلَماءِ كُلِّ زَمانٍ ما يَلِيقَ به.

-أضرُّ الأشْياءِ صُحْبَةُ عالِمٍ غافِلٍ وصُوفِيٍّ جاهِلٍ وواعِظٍ مُداهِنٍ.

-اِجْعَلِ الصَّبْرَ زادَكَ، والرِّضى مَطِيَّتَكَ، والْحَقَّ مَقْصَدَكَ , ووجْهَتَكَ.

-جَعَلَ الله قُلوبَ أهْلِ الدُّنْيا مَحلاًّ لِلْغَفْلَةِ والوَسْواسِ، وقُلوبَ الْعارِفِين مَكانًا للذِّكْرِ والاسْتِئْناسِ.

-الْفُتُوَّةُ رُؤْيَةُ مَحاسِنِ الْعَبِيدِ والْغَيْبَةُ عن مَساويهِمْ.

-الْمَحبَّةُ الأُنْسُ بالله والشَّوْقُ إليه.

-شاهِدْ مُشاهَدَتَهُ لَكَ، ولا تُشاهِدْ مُشاهَدَتَكَ لَهُ.

-الزُّهْدُ فَرِيضَةٌ وفَضِيلَةٌ وقُرْبَةٌ، فالفَرْضُ في الْحَرام، والفَضْلُ في الْمُتَشابِه، والْقُرْبَةُ في الْحَلال.

-علامَةُ الإخْلاصِ أنْ يَغِيبَ عنكَ الْخَلْقُ في مُشاهَدَةِ الْحَقِّ.

-لا يَكْمُلُ الْعَمَلُ إلاّ بالإخْلاصِ والْمُراقَبَةِ.

-الزُّهْدُ الْعُزوفُ عن الدُّنْيا، والإعْراضُ عنها لِحَقارَتِها، وتَرْكُها لاسْتِصْغارِها ورُؤْيَةِ هَوانِها.

-نِسْيانُ الْحَقِّ خِيانَةٌ، والاشْتِغالُ عنه دَناءَةٌ.

-القُرْبُ منه لَذَّةٌ، والْبُعْدُ عنه حَسْرَةٌ.

-سُنَّتُهُ عَزَّ وجَلَّ اسْتِدْعاءُ الْعِبادِ لِعِبادَتِهِ بِسَعَةِ الأرْزاق ودَوامِ الْمُعافاة، لِيَرْجِعُوا إليه بنِعْمَتِهِ، فإنْ لَمْ يَفْعَلُوا ابْتَلاهُمْ بالْبَأْساءِ والضَّرَّاء، لَعَلَّهُمْ يَرْجعون، لأنَّ مُرادَهُ عَزَّ وجَلَّ رُجُوعُ الْعَبْدِ إليه طَوْعًا أو كُرْهًا.

-إذا رَأَيْتُم الرَّجُلَ تَظْهَرُ له الْكَراماتُ، وتَنْخَرِقُ له الْعاداتُ، فلا تَلْتَفِتُوا إليه، ولَكِنِ انْظُرُوا كَيْفَ هُوَ عِنْدَ امْتِثالِ الأمْرِ والنَّهْيِ.

ج. تطوّر تيّار التّصوّف الفلسفيّ في عهد الْمُوَحِّدِين: وفيما يخصّ تيّار التّصوّف الفلسفيّ في عهد دولة الْمُوَحِّدين، فإنّه يَتَمَثَّلُ، خلال القرن السّابع الْهِجْرِيّ، الثّالث عشر للميلاد، في عددٍ من الصُّوفِيّة الذين ساهموا في نشر آراء ابن مَسَرّة وابن العريف وغيرهما، وأغلبهم من أصلٍ أندلسيّ. ومن مشاهير صوفيّة هذا التّيّار:

1- الْحرَّالِيّ، أبو الْحَسَن عليّ بن الْحَسَن بن إبراهيم التُّجيبيّ (ت.638هـ/1241م)، الفقيه الأصوليّ الصّوفيّ. أصله من حرّالة، قرية من أعمال مُرْسِيَة، ووُلِدَ بمرّاكُش، ورحل إلى فاس، فأخذ بها عن أبي الْحَجّاج يوسف بن نَمْوي. ثُمّ تَوجَّهَ إلى الْمَشرق، وأخذ عن أبي عبد الله محمد الْقرطبيّ، إمام الْحَرَم بمكَّة، وعن الشّيْخ عِزّ الدِّين ابن عبد السّلام بمِصْر، ثُمّ عاد إلى بلاد الْمَغْرب واسْتَقرّ ببجاية. ونبغ في علوم الْحِكْمَة والفرائض والفِقه والْحَدِيث وغير ذلك من منقول ومعقول. وكان زُهْدُه" زهدًا حَقيقيًّا بالظّاهر والباطن بالتّرك للدُّنيا كُلها وعدَم الْمَيْل إلى شيْءٍ منها، وكان ذلك عن طيب نَفْسٍ ورضا بأنّ الدّنيا لَمْ تَكُن عنده شَيْئًـا. وكان كُلّ ما يَرِدُ عليه منها ينفصل عنه من ساعته ولا يتمسّك منه إلاّ بحاجة وقته "[31]. ومن تآليفه تفسير القرآن، وكتاب الْمعقولات الأول في الْمنطق، وكتاب مِفتاح الباب الْمقفل على فهم القرآن الْمُنزّل، وكتاب الوافي في الفرائض. ويذكر الغُبْرينيّ أنّ الْحرّاليّ ألّف في التّصوّف التّآليف الْحسنة البيِّنة السّهْلة. هذا وله شعرٌ في التّصوّف، منه قوله:

مَا لَنَا مِنّا سِوَى الْحالُ الْعَدَمْ     وَلِبـارينَا وُجُـودٌ، وقِـدَمْ
نَحْنُ بُنْيـانٌ، بَنَتْهُ حِكْمَـةٌ     وخَلِيـقٌ بالْبنـا أَنْ يَنْهَـدِمْ
نَحْنُ كُتْبُ الله، ما يَقْرأُهـا     غَيْرُ مَنْ يَعْرِفُ ما مَعْنَى الْقَلَمْ
أحْرُفُ الْكُتْب، الذي أَبْدَعَهُ     كُلَّما لاحَتْ مَعَـانيهِ انْعَجَمْ
أشْـرَقَتْ أنْفُسُنا مِنْ نُـورِهِ     فَوُجُودُ الْكُلِّ عَنْ فَيْضِ الْكَرَمْ
فَتَـرِقُّ النَّفْسُ عَنْ عَـالَمِهَا     باخْتِبَاء، لَيْسَ تُدْنيـهِ الْهِمَمْ
لَيْسَ يَـدْرِي مَنْ أنَا، إلاَّ أَنَا     ها هُنا الْفَهْمُ عَنِ الْعَقْلِ انْبَهَمْ
كُلَّما رُمْتُ بذاتِي، وَصْلَـةً     صَارَ لِي الْعَقْلُ، مع الْعِلْمِ جَلَمْ
يقْطَعاني بِخَيـالاتِ الْفَنَـا     عَنْ وُجُـودٍ لَمْ يُقَيَّدْ بعَدَمْ[32]

2- مُحْيِي الدِّين ابْنُ عَرَبِيّ، أبو عبد الله محمد بن عليّ الطّائِيّ الْحاتِميّ الإشْبيليّ الأندلُسِيّ، المعروف بالشّيْخ الكبير (560-638هـ/1165-1241م)[33]. وُلِدَ بمُرْسِيَة، ثُمّ رحل إلى إشبيلية سنة 568هـ/1172م، وأخذ عن علمائها الفقه والْحديث واللغة، وغير ذلك من العلوم، والْتَزمَ الْخَلْوَة، ومُطالعة كُتُب الفلسفة والتّصوّف والذِّكْر، وأقامَ فيها حَوالَيْ ثلاثين سنة. ثُمّ غادر الأندلس، فترل بمدينة بجايَة، سنة 597هـ/1200م، ومَكَثَ فيها بضعة أعوام لَقِيَ خِلالها أفاضِلَ الْعُلَماء والصُّوفِيّة. ثُمّ انتقل إلى مِصْر، ولَقِيَ بها العُلَماء، فَحاوَلَ نَشْرَ آرائه

الصُّوفِيّة، فاتُّهِم بالزَّنْدَقَة والقَوْلِ بِوَحْدَة الْوُجُودِ. وفي سنة 598هـ/1201م، تَوَجّه إلى مَكّة لأداء فريضة الْحَجّ، ثُمّ ساحَ في بلادِ الْمَشْرِق الْعَرَبيّ، فزار الْقُدْس وبَغْداد، سنة 608هـ/1211م، وبلاد الرّوم. ثُمّ عاد إلى مَكّة، سنة 610هـ/1213م، ثُمّ اسْتَقرّ بدمشق سنة 620هـ/1223م، وبها تُوُفّيَ سنة 638هـ/1241م. وله تآليف عديدة، أشهرُها كتاب الفُتوحات الْمَكّيّة، وكتاب فُصوص الْحِكَم. هذا ويُسْتنتج من من تآليف الشّيْخ مُحْيِي الدّين ابن عربيّ أنه "دوّنَ في كُتُبه أُصولَ التّصوُّف والْعِرْفان ومَسائل حِكْمَة الإشْراق، ولاسِيّما مسألة وحدة الوجود حسب القواعد العقليّة والأصول الْعِلْميّة على وجه الاسْتِدْلال"[34]. فهو بذلك قد أعْطى للتّصوُّف الفلسفي نَفَســـًا جديدًا، سَمَحَ لِهذا التّيّار أن يُواصِلَ تأثيرَهُ في التّصوّف الإسْلامِيّ، رَغْمَ اسْتِنْكار مُعْظَمِ الفقهاء لبعض آرائه.

وفي هذا الصَّدد، يُمْكِنُ الإشارة إلى مَوْقِفِ أبي حامِد الغَزالِي في مَسْألة وَحْدَة الْوُجود، فقد يُساعِدُ على كَشْفِ ما يَحومَ حولَها من الْغُموض. فهو يرى أنّ الْمُشاهدة الصّوفيّة قد تكشف لِصاحِبها عن أمورٍ وحَقائق يَعْجِزُ الْعَقْلُ عن إدْراكِها. غير أنّه "ينبغي دائمًا الرُّجوعُ إلى الْعَقْلِ لِيَكون حَكَمًا فاصِلاً في قبول هذه الأمور أو رفضها، فلا يَجوز عَقلاً أن يَدّعِيَ الوليّ مُشاهدة الذّات الإلَهيّة، ومن بابٍ أولى لا يَجوز له عَقْلاً أن يزعم أنّه يَتّحِدُ بها أو أن تَحُلّ فيه". ويؤَكِّدُ الغزالي "أنّ مُتصوِّفَة الْمُسلمين لَمْ يَذْهَبوا في التّعْبير عن اسْتِغْراقِهم في الْحَقّ القول بالْحُلول أو الاتِّحاد، وإذَنْ يُمْكِنُ فَهْمُ الاسْتِغْراق في ذاتِ الْحَقّ على أنّه نَوْعٌ من الْقُرْب، فالله يَتجلّى ظاهِرًا من جِهَةِ أفْعالِه، لَكِنّه يَظَلُّ باطِنــًا لِشِدَّة ظُهُوره، وعندئذٍ فالعَقْلُ هو الذي يُدْرِكُ لا الْحَواس"[35].

ومن نثر مُحْيِي الدّين بن عربيّ، في هذا الْمَجال، قوله: "اعْلَمْ يا فَصِيحًا لا يتكلّمُ وسائلاً عَمّا يَعْلَمُ، أنّي لِما وصلْتُ إليه من الإيمان، ونزلْتُ عليه في حَضْرَة الإحْسان، أنْزلَني في حَرَمِهِ، وأطْلَعَني على حُرَمِهِ، وقال (الله): إنّما أكْثَرْتُ الْمَناسِكَ رَغْبَةً في التماسك. فإنْ لَمْ تَجِدْني هُنا وَجَدْتَني هنا، وإن احْتَجَبْتُ عنك في جَمْع، تَجَلّيْتُ لك في مِنًى، مع أنّي قد أعْلَمْتُك في غير ما مَوْقِفٍ من مَواقِفِك، وأشَرْتُ به إلَيْكَ في غَيْرِ مَرّةٍ في بعضِ لَطائفِكَ، أنّي وإن احْتَجَبْتُ فَهُوَ تَجَلٍّ لا يَعْرِفُهُ كُلُّ عارفٍ إلاّ مَنْ أحاطَ عِلْمًا بما أحَطْتَ به من الْمَعارف. ألا تَراني أتَجَلّى لَهم في الْقِيامَة، في غَيْرِ الصُّورَة التي يعرفونَها والْعَلامة، فَيُنْكِرون رُبوبِيّتي، ومنها يَتَعَوَّذون ولكنْ لا يشعُرون، ولكنّهُمْ يَقولون لِذلك الْمُتَجَلِّي: نَعُوذُ بالله منك، وهَا نحن لِرَبِّنا مُنْتَظِرون. فَحينئذٍ

أخْرُجُ عليهم في الصّورة التي لَديْهم فَيُقِرُّونَ لِي بالرُّبوبيّة... فَهُمْ لِعلامَتِكُمْ عابِدون، وللصُّورة التي تَقرَّرَتْ عندهم مُشاهِدون"[36].

ومن شعره قوله:

أنــا القُرْآنُ، والسَّبْــعُ الْمَثــاني وَرَوْحُ الرُّوحِ لا رُوح الْمَعَاني
فُؤَادِي، عِنْــدَ مَعْلومِــي مُقِيــمٌ يُنــاجيهِ وعِنْــدَكُمْ لِسَــاني
فلا تَنْظُرْ بطَرْفِكَ نَحْــوَ جِسْمِي وَعَــدِّ عَنِ التَّنعُّمِ بالْمَعــاني
وغُصْ في بَحْرِ ذاتِ الذّاتِ تُبْصِرْ عَجــائِبَ لَيْسَ تَبْدُو لِلْعِيــانْ
وأسْــرارًا تَــراءَتْ مُبْهَــماتٍ مُسْتَّــرَةٍ بِــأرْوَاحِ الْمَعــاني
فَمَــنْ فَهِمَ الإشــارَةَ، فَلْيَصُنْهــا وإلاَّ سَوْفَ يُقْتَــلُ بالسِّنــانِ
كَحَــلاَّجِ الْمَحَبَّــةِ إذْ تَبــدَّتْ لَهُ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ، في التَّداني
فقــال أنا هــو الْحَقُّ، الذي لا يُغَيِّــرُ ذاتَهُ مَــرُّ الزَّمــانِ[37]

2- أبو الفضل قاسم بن محمد القرطُبيّ (ت.662هـ/1264م)[38]، الفقيه الزّاهد العارف. وُلِدَ بقرطبة ونشأ فيها، وغادرها مُتوجِّهًا إلى الْمغْرب الأقصى ونزل في رباط آسَفِي، فأخذ عن أبي محمد صالح الْماجَرِيّ، ثُمَّ اسْتَقرَّ في بجاية، وأخذ بها عن أبي الْحَسَن عليّ الْحرَّالِيّ، فتأثَّرَ بآرائه الإشْراقِيَّة. وكانت له زاوية ومُريدون يأخُذون عنه طريق التّصوُّف. وقيل إنه تَحدّث مرّةً عن الْمَوْت فقال: "ما ثَمَّ مَوْتٌ، وإنَّما هي نَقْلَةٌ من مَحَلٍّ إلى مَحَلٍّ، والْمَوْتُ للعارفين مُشاهَدَةٌ واضِحَةٌ للحَقِّ وسَبَبٌ للّقاء، وشَيْءٌ يوصِلُ الْحَبيبَ إلى الْمَحْبوب، وإنّ الْمَعْرفة تنْقَلِبُ في الآخرة مُشاهَدَةً، فَمَنْ زرع نَواةً أنْبَتتْ ثَمرًا، ومن زرع نبقةً انْبَتتْ شوكــًا"[39].

3- الشُّشْتَرِيّ، أبو الْحَسَن عليّ بن عبد الله النمَيْرِيّ (610-668هـ/1213-1269م)[40]، الصّالح العارف. كانت له "معرفة بالْحِكْمَة ومعرفة بطريق الصّالحين الصُّوفيّة، وله تَقدُّم في علم النّظم والنّثْر على طريقة التّحْقيق"[41]. نَبَغَ في العلوم العقليّة والنّقْلِيّة، ورحل إلى كثيرٍ من مُدُن الأندلس، ثُمّ توجَّه إلى بلاد شمال إفريقيا، ومكث مُدّةً في بجاية حيث اتّصلَ بالصُّوفِيّة، وتأثّرَ بالْمَدْرسة الصّوفيّة الْمَدْيَنِيَّة، ثُمّ لَقِيَ بها مُحْيِي الدّين ابن عَرَبِيّ. ولازم ابن سَبْعِين عندما قَدِمَ إلى بجاية، سنة 648هـ/1250م، وكان هذا الأخير أعْرَفَ مُعاصِريه بالفلسفة الأفْلُوطِينيَّة وأكْثرهم تأثُّرًا بِها، فأُعْجِبَ الشُّشْتَرِيّ بآرائه، وبخاصّة نَظَرِيّته حول وحدة الوجود وتَبنَّاها، ورافق الشّيخ ابن سَبْعِين مُدّةً. ثُمّ رحل إلى طَرابلس والْقاهِرة، حيث أقام مُدّةً مُعْتَكِفــًا

بالْجامع الأزْهر. ثُمّ أَدّى فريضة الْحَجّ عِدَّةَ مَرّات، ولَقِيَ بِمَكّة ابن سَبْعِين. ثُمّ رحل إلى دِمَشْق، وزار كَثِيرًا من الأدْيِرَة، وقابَلَ الْعَديد من الرُّهْبان الْمَسيحِيّين مِمّا أغْضَبَ فقهاء عَصْرِه."وكان يَصْحَبُه في أسْفاره ما يَزيدُ على أربعمائة فقيرٍ... وقضى الشّشْتَريّ الفترة الأخيرة من حياته مُتَنَقِّلاً بين سواحِل الشّام ومِصْر، وقد عاش فترة من الزمان في رِباط القلندريّة في دِمَشْق، ومن الْمُرَجَّح أنّه شارك في الْحرب ضِدّ الصَّلِيبِيِّين"[42]، ومرض قرْب دمياط في رحلته الأخيرة إلى مِصْر، فاشْتَدَّتْ عِلّةُ مرضه، وتوفِّيَ هناك بإحْدى القُرَى، ودُفِنَ بدمياط. وقيل إنّ الششتريّ "كان إماماً لطريقة جديدة هي الششتريّة، ويبدو أنّها أثّرت في الفقراء أكثر من أثر السَّبْعِينِيّة، وكان الفقراء يُفضِّلونه على شَيْخه حتّى إبّانَ حياة ابن سَبْعِين"[43]. وللششتريّ بعض المُؤلّفات، منها الْمَقاليد الوجوديّة في أسرار الصّوفيّة. وله ديوان شعر يتضمّن قصائد وموشّحات وأزجالاً، "هي التّعبير الباطِنيّ عن حياته الأولى من ناحِيَة، وعن تَخَلّيه ظاهِرِيّاً في أواخر حياته عن مذهب وحدة الوجود من جهة أخرى"[44]. ومن شعره تخْميسه لقصيدة لِمُحْيِي الدِّين ابن عَرَبيّ:

شَهِدْتُ حَقِيقَتِي وعَظِيمَ شاني ... مُقَدَّسَةً، عَنِ ادْراكِ الْعِيَانِ
فقال مُتَرْجِماً عَنِّي لِساني ... أنا الْقُرْآنُ والسَّبْعُ الْمَثاني
وَرَوْحُ الرُّوحِ لا رُوحُ الْمَعَاني

أنا في مُسْتَوَى عَرْشِي قَدِيمُ ... لِذا أنِيسَتِي الْعُظْمَى نَدِيمُ
وفي بَلْوَى مَحَبَّتِكُمْ أهِيمُ ... فُؤادي عند مَعْلُومِي مُقِيمُ
يُناجِيهِ وعِنْدَكُمُ لِسَاني

سَتَرْتُ حَقِيقَتِي عن كُلِّ فَهْمِ ... بِما أظْهَرْتُ مِنْ وَسْمٍ ورَسْمِ
فَإنْ تَطْلُبْ تَرَى صِفَتِي مَعَ اسْمِي ... فلا تَنْظُرْ بِطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمِي
وعَدِّ عَنِ التَّنَعُّمِ بِالْمَغَاني

وَلِلطِّلَسْمِ في الْكَوْنَيْنِ كَسِّرْ ... وحَقِّقْ سِرَّ مَعْنَايَ وحَرِّرْ
ولِلْمَسْجُورِ من بَحْرِي فَفَجِّرْ ... وَغُصْ في بَحْرِ ذَاتِ الذاتِ تُبْصِرْ
عَجَائِبَ لَيْسَ تَبْدُو لِلْعِيَانِ

فَإنْ شَاهَدْتَنِي في كُلِّ ذاتِ ... بِأَسْمائِي عِيَاناً مَعْ صِفاتِي
سَتَفْهَمُ ما خَفَى في الْكائِناتِ ... وأسْرارًا تَراءَتْ مُبْهَماتِ

مُسْتَّـرَةً بِـأَرْوَاحِ الْمَعَـانِي
فَعِنْدَ شُهودِكَ الأَسْرارَ منْهـا فَلا تَكُ غائِبًـا فِي الْكَوْنِ عَنْهَا
وَوَحِّدْ واتَّحِدْ كَيْ ما تَكُنْهَا فَمَنْ فَهِمَ الإشـارةَ، فَلْيَصُنْهـا
وإلاَّ سَـوْفَ يُقْتَلُ بالسِّنَـانِ
فَمَنْ أوْرَى زِنادَ الْحَقّ رُدَّتْ حَقِيقَتُهُ وعَنه الْبَـابُ سُدَّتْ
وكَعْبَتُهُ بِفاسِ الشَّرْعِ هُدَّتْ كَحلاَّجِ الْمَحَبَّـةِ، إِذْ تَبـدَّتْ
لَـهُ شَمْسُ الْحَقِيقَةِ في التَّداني
فَلَمّا أنْ دَنَا منهـا تَدَلَّـى وَ بالإسْمِ الْمُعَظَّـمِ قد تَجَلَّـى
تَوَحَّدَ عِنْدَ ذاكَ وما تَوَلَّـى فقـال أنا هُوُ الْحَـقُّ الَّذِي لا
يُغَيِّـرُ ذاتَهُ مَـرُّ الزَّمَـانِ(45)

4- ابن سَبْعِين الْمُرْسِيّ، عبد الْحَقّ (614-669هـ/1217-1271م)(46)، الفقيه العارف، عُرِفَ بقُطْب الدّين. وُلِدَ بمُرْسِية، وأخذ عن علمائها الفقه واللغة وغير ذلك من العلوم الدينيّة واللسانيّة، وبرع في العلوم الباطنيّة والتّصوُّف. تَنَقَّل في أمْصار الأندلس، فذاع صَيْتُه، ولاسِيَّما عند العَوامّ، ورحل إلى سَبْتَة. ثُمّ تَوجَّه إلى بِجاية حوالَيْ سنة 648هـ/1250م، فحَظِيَ بإقبال العديد من الصّوفيّة والطَّلَبَة وعامّة النّاس، ومكث فيها بضْعَة أعْوام. ثُمّ غادر بِجايَة وقصد إلى تونس، ثُمّ رحل إلى الْمَشْرق، واسْتَقَرَّ بِمكَّة الْمُكَرَّمة حيث حَظِيَ عند حاكِمِها الشّريف أبي نُمَيّ، وكان يَحُجُّ كلّ عام، ويَعْتَمِرُ على الدَّوام. ولَمّا استوْلى الْمغول على بغداد وقَضَوْا على الْخِلافة العَبّاسِيّة، سعَى ابن سبعين لَدَى حاكِم مَكَّة في شأن الْبَيْعة بالْخلافة للمُسْتَنْصِر الْحَفْصِيّ، وكُتِبَتْ وثيقة البَيْعَة بِيَدِ ابن سبعين. ويُحْكَى أنّه كان، أثناء إقامته بِمكّة، يَتَعَبّد في غار حِراء، مُتَشَبِّهًا بالرسول صلّى الله عليه وسلّم، وأنّه لَم يَكُنْ يعتبر الرّسول خاتِم الأنبياء. وتوفِّيَ بِمَكَّة الْمُكَرَّمة سنة 669هـ/1271م. هذا ويُعْتَبَر ابنُ سبعين من غُلاة التّصوّف الفلسفيّ، حيث إنّه كان أكثر اعْتِمادًا على الفلسفة اليونانيّة الأفلاطونيّة من مُحْيِي الدّين ابن عربيّ في نظريّته حول مسألة وحدة الوجود، وقد أثارت آراؤه استنكار العديد من الْمفكّرين والفقهاء، وانتقدها ابنُ تَيْمِية نَقْدًا شديدًا.

الْخـاتِمَة: ويُسْتَنْتَجُ مِمّا سبق أنّ عهد الْمُوَحِّدين يُشَكِّلُ "الانطِلاقة الْحقيقيّة للتّيار الصُّوفِيّ في الْمَغْرب الإسلامِيّ، الْمُتأثّر بدوْره بالتّيّار الصُّوفِيّ الْمَشْرقيّ مع بعض الْمُمَيِّزات

الْخاصّة، هذه الفترة التي اخْتَمَرَتْ فيها الْمَبادِئ الإسلامِيّة في مِنْطقة الْمَغرب الإسْلامي، وشَعَرَ فيها رجال التّصوّف بضرورة تبسيط التّعاليم الصّوفيّة حتى تغترف منها مُخْتلَف الطّبقات الشّعبيّة. وتَمتّعت الفترةُ الْمُوحّدِيّة ببَعْض الْحُرِّيّة الفكريّة التي لَمْ تكن في عهد خصومهم الْمُرابطين، مِمّا سَمَحَ للدّراسات الفكريّة والفلسفيّة بالْعَوْدة إلى النّشاط من جديد"[47].

فعهد الْمُوحّدين يُمَثِّلُ مرحلةً جديدة في تطوُّر التّصوّف الْمَغاربِيّ، تَمْتاز بانتِشار الفكر الصّوفيّ في مُخْتَلَفِ الأنحاء، وبُروز الْعَديد من مَشاهِير الصّوفيَّة سواء في تَيّار الزُّهْد والْخَلْوة، أم في تَيّار التّصوّف الأخلاقِيّ، وتيّار التصوّف الفلسفي. ويَمْتاز هذا العهد بِبُروز عددٍ من مشاهير الصُّوفيّة بالْمَغرب الإسلاميّ في الاتّجاهَيْن الأخلاقي والفلسفي، والْتزام أغْلَبهم بمواقف تَكْتَسي طابَعَ الاعتدال وتَجَنُّب التَّطَرُّف. "وحتى مُحْيِي الدِّين ابن عَرَبيّ ومَنْ نَحا نَحوَه، يُصَرِّحون بتَمَسُّكِهم بالعَقِيدَة السُّنِّيَّة، وما عُرِفَ عنهم إلاّ مُمارسة الْعِبادات الإسلامِيَّة طُولَ حَياتِهِمْ، وإنّما وقعتْ لَهم شَطَحاتٌ، وصدرتْ منهم دَعَوات اختلف النّاسُ في تقديرها والْحُكْمِ عليها"[48].

ويبدو أنّ التّيّار الأخلاقِيّ كان أكثر ذُيوعًا لِما امْتازَ به من اعْتِدال، ونَشاطٍ هامٍّ في تَكْوين الْمُريدين. ويتمثّلُ ذلك في تأسيس الرِّباطات، والتَّدْريس فيها وفي الْمَساجِد، مِمّا ساعَدَ على انْتِشار آرائه في مُخْتَلَف الْمَناطق، وبِخاصّةٍ في الْمُدُن الْكُبْرَى. واشْتَهَرَ آنذاك، في هذا الْمَجال، الشّيخ أبومَدْيَن شُعَيْب الإشْبيلي، الذي كان لِفِكْره دَوْرٌ هامٌّ في تَطَوُّر التّصوُّف الْمغاربِيّ.

الْهَــوامِش:

1- انظر: محمد بن عقيل بن عليّ المهدلي، الأخلاق عند الصّوفيّة، القاهرة، 1996، ص 39-46.

2- حول أبي الحسن الأشوني، انظر: ابن عبد الملك المرّاكشيّ، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 1، رقم 655، ص 388-90.

3- ابن عبد الملك المراكشي، المصدر السابق، ص 390.

4- ابن قنفذ، أنس الفقير، ص 27.

5- نفسه، ص 21. انظر أيضًا: طاهر الصدفي، السّرّ المصون فيما أكرم به المخلصون، تحقيق حليمة فرحات، بيروت، 1998، ص 94-95.

6- انظر: البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي ابن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1986، ص 31-32، 40-44، 46؛ كمال اليازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط، بيروت، 1966، ص 269-70.

6- حول عبد الحق الإشبيلي، انظر: ابن الزبير، صلة الصلة، رقم 9، ص 4-7.

7- عمّار طالبي، الحياة العقلية في بجاية، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 19، ص 158.

8- الغبريني، عنوان الدراية، ص 31-32.

9- العمه هوعَمَى البصيرة، والمقصود هنا هو عمى النفس وعزوفها عن الزهد في الدنيا.

10- رابح بونار، عبد الحق الإشبيلي، مجلة الأصالة، عدد 19، ص 271؛ ابن الزبير، المصدر السابق، ص 6-7.

11- الغبريني، المصدر السابق، ص 20.

12- ابن قنفذ، المصدر السابق، ص 34.

13- الغبريني، المصدر السابق، ص 21.

14- حول أبي زكرياء الزواوي، انظر، الغبريني، م. س، ص 75-76.

15- نفســه، ص 75.

16- نفســه، ص 76.

17- حول ابن الْحَجَّام، انظر: ابن الزيّات التادليّ، التشوّف، ص 462-63/يحيى ابن خلدون، بغية الرّوّاد، ج1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ص102-103.

18- يحيى ابن خلدون، م. س.، ص 102-103.

19- حول أبي العيش الْخزرجي، انظر:التنبكتي، نيل الابتهاج، ص332/الحفناوي، تعريف الخلف، ج2، ص333-35/يحيى ابن خلدون، م. س، ج1، ص103-104.

20- يحيى ابن خلدون، م. س.، ص 103-104.

21- قاسم غنى، تاريخ التصوّف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت، ج2، ص 687-88.

22- حول ابن النحوي، انظر: ابن مريم، البستان، ص 299-304؛ أحمد بن محمد أبو رزاق، تحقيق شرح لأبي الحسن البوصيريّ على الْمُنفرجة، الجزائر، 1984؛ علي علواش، معجم مشاهير الْمغاربة، ص 537-39.

23- ابن مريم، م. س.، ص 301.

24- عن عبد السلام التونسي، انظر: ابن الزيّات التادلي، م. س.، رقم 13، ص88-91؛ ابن قنفذ، م. س، ص107-108؛ ابن خلدون، م. س، 125؛ ابن مريم، م. س.، ص 122.

25- عن أبي الْحسن ابن قنون، انظر: ابن الأبّار، التكملة، ج2 ص 685-86؛ نفس المؤلف، الْمعجم، رقم 271، ص 288-90؛ يحيى ابن خلدون، م. س.، ص 100-101؛ الحفناوي، م. س.، ج2، ص 258.

26- عن أبي الْحسن ابن حرزهم، انظر: ابن الزيّات التادلي، م. س.، رقم 51، ص 147-53؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 198-200؛ الكتّاني، سلوة الأنفاس، ج 3، ص 69؛ ابن قنفذ، م. س.، ص 20؛ عبد الله كنون، النبوغ المغربي، ج 1، ص 90-91.

27- ابن قنفذ، م. س.، ص 20.

28- عن أبي عليّ الْمَسيلي، انظر: الغبريني، م. س.، ص 13-20؛ ابن قنفذ، م. س.، ص 34-35؛ أحمد بابا التنبكتي، م. س.، ص 104-107؛ الحفناوي، م. س.، ج1، ص 59-61؛ عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ص 65-66؛ علي علواش، م. س.، ص 492-93.

29- الغبريني، م. س.، ص 14.

30- الغبريني، م. س.ن ص 89. حول أبي الحسن الحرّالي، انظر أيضًا: الْمقّريّ، نفح الطّيب، ج2، ص 387-89؛ عمّار طالبي، م. س.، ص 161.

31- الغبريني، م. س.، ص 96-97.

32- حول محيي الدين ابن عربي، انظر: الغبريني، م. س.، ص 97-99؛ المقّري، م. س.، ج2، ص 361-84؛ قاسم غنى، م. س، ص 701-2؛ عمّار طالبي، م. س.، ص 163-69؛ عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، ج3، ص 542-48؛ ابن عربي، فصوص الْحكم، تقديم أنطوان موصلي، الجزائر، 1991؛ طه عبد الباقي سرر، محيي الدين ابن عربي، ص 89-94؛ محيي الدين ابن عربي، كتاب الإسفار عن نتائج الأسفار، حققه وترجمه إلى الفرنسية داني قريل، 1994.

33- قاسم غنى، م. س.، ج2، ص 702.

34- محمود قاسم، دراسات في الفلسفة الإسلامية، القاهرة، 1966، ص 61-62؛ انظر أيضًا: الطاهر بونابي، التصوّف في الجزائر خلال القرنين 6-7 هـ/ 12-13 م، ص 154-59.

35- عمر فروخ، م. س.، ص 543.

36- انظر تخميس هذه القصيدة في ديوان الششتري، ص 245-46؛ طه عبد الباقي سرور، م. س.، ص 51.

37- حول قاسم القرطبي، انظر: الغبريني، م. س.، ص 99-102.

38- نفســه، ص 101.

39- حول الششتري، انظر: الغبريني، م. س، ص140-43؛ المقّريّ، م. س، ج2، ص384-87؛ الششتري، ديوان، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية، 1960.

40- الغبريني، م. س.، ص 140-41؛ المقّريّ، م. س.، ج2، ص 384.

41- عليّ سامي النشّار، مقدمة ديوان الششتري، ص 11-12.

42- نفســه، ص 12.

43- نفســه، ص 16.

44- ديوان أبي الحسن الششتري، ص 245-46.

45- حول ابن سبعين، انظر: الغبريني، م. س.، ص 139-40؛ المقري، م. س.، ج2، ص 395-406؛ أبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، ص 277-78.

46- بو داود عبيد، م. س.، ص 55.

47- علال الفاسي، التصوّف الإسلاميّ في المغرب، مجلة الثقافة المغربية، عدد 1، 1970، ص 45.